

إسهام النشاط التجاري في النهضة العمرانية

بالمغرب بين القرنين 9-12م

" تجارة ذهب السودان الغربي أنموذجاً "

د. البشير بوقاعدة
جامعة محمد لمين دباغين
- سطيف (2) -

الملخص:

تضطلع هذه الورقة البحثية بالكشف عن دور تجارة ذهب السودان الغربي في بعث الروح في جسم الحياة بالمدينة المغربية في العصر الوسيط، وتجليات الانتعاش الاقتصادي والازدهار التجاري الناجم عن العوائد الهامة لتجارة الذهب على الخزينة العامة في انتعاش حركية البناء والتشييد العمراني في مغرب العصر الوسيط، سواء ما تعلق بظهور مدن جديدة وتأسيس حواضر على مسالك التجارة وطرق قوافلها، أو توسع المظاهر الحضرية بالمدن التي كانت قائمة في ظل استقطابها لقوافل تجارة الذهب السودان الغربي، وكون مجالها محطة من محطاتها التجارية، ومركزاً من مراكز عبورها، وسوقاً من أسواقها البارزة.

الكلمات المفتاحية:

السودان الغربي، الذهب، أودغشت، تمنطيط، وارجلان، القوافل، شط ملغيغ.

Abstract:

This article examines the role of the Western Sudan gold trade in the flourishing of the Islamic Maghreb cities in the Middle Age. It provoked a motivation to follow a particular urban policy to build these cities.

This policy based on building these cities on commercial roads and the shopping centers of convoys coming from Western Sudan. This kind of trade had great benefits for those states, so that they were able to provide security for those convoys.

This article also tackles the most notable cities which were built at that time. To illustrate, the Abbasi city, which was built by Aghlabids near Tahret city. Generally, all the cities that was flourished due to the Western Sudan gold trade.

Keywords:

Middle Age; the Islamic Maghreb cities; Western Sudan; gold trade; commercial roads.

المقدمة:

من الملاحظ الالامعة في التاريخ الاقتصادي للمغرب في العصر الوسيط، أنّ تجارة الذهب شكّلت العصب الرئيس في صناعة التفوق والمكانة الاقتصادية؛ ذلك أنّ هذه التجارة تركت بصمات اقتصادية لافتة على حياة الأفراد والمجتمعات، كما شكّلت مسلكا هاما نحو تقوية أركان الدولة وترسيخ كيائها، وكذا تطعيم الخزينة العامة بالأموال وجبر كسر عجزها المالي، ناهيك عن الأثر البارز الذي تركته على نسيج الشبكة العلائقية بين دويلات المغرب الوسيط في شرقه وغربه وشماله وجنوبه أو مع دول الصحراء، بالإضافة إلى أنّها ساهمت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في انعاش الحياة الحضارية المغربية بظهور مدن جديدة في نقاط متفرقة من البساط المغربي وجغرافيته.

تأسيسا على هذا الطرح، جاء الاهتمام بتغذية الإشكالية المتعلقة بطبيعة الدور الذي لعبته تجارة ذهب السودان الغربي في ظهور مدن جديدة وانتعاش أخرى كانت قائمة في نقاط متفرقة من مسار شبكة الخطوط التجارية الواصلة بين الشمال المغربي في العصر الوسيط والمجال الجنوبي الصحراوي، وكذا الكشف عن نسيج العوامل التي أسهمت في تحريك عجلة تطور هذا النوع من التجارة، والتي خصّبت الأرضية لفاعلية الحراك الاقتصادي على متن تجارة الذهب، بالإضافة إلى أهمّ المحطات التجارية الفاعلة في هذا الحقل التجاري. أمّا الشق الثاني من هذه الورقة البحثية، فيضطلع بالكشف

عن أبرز المدن المغربية التي ساهمت تجارة الذهب في بعث الحياة في كيانها وازدهار مجالها وتقوية أركانها، والتي شكّلت بدورها محطات تجارية هامة وفاعلة في هذا الحراك التجاري على غرار: أدغشت، سجلماصة، وارجلان، تيهرت، سدراتة، والعباسية. مع الإشارة إلى أنّ هذه الورقة البحثية اختصّت بشكل مركز على الفترة الزمنية المحصورة بين القرنين الثالث والسادس الهجريين (9-12م).

1- المقومات الداعمة لبناء شبكة تواصلية بين المغرب والسودان الغربي:

سنقتصر في هذه المساحة البحثية على دراسة جملة من المقومات والعوامل التي طعّمت مادة التواصل بين المجالين المغربي والغرب السوداني في الفترة الوسيطة، وبشكل أخصّ الطبيعية منها أو البشرية ونحوها. والتي ساهمت في ربط شبكة علائقية تباينت مظاهرها وأوجهه وأبعادها سواء في الجانب الحضاري أو الاقتصادي أو الثقافي وحتى الديني، وكانت لها انعكاسات ملحوظة على مناحي الحياة المتلونة أو بكل أبعادها على الساكنة والحياة الحضارية بالمجالين المغربي والسوداني الغربي أو بين الشمال والجنوب الصحراوي. ومن هذه العوامل والمقومات ما يضطلع العرض الموالي ببيانه:

أ- حركة الفتوح الإسلامية:

ساهمت حركة الفتوح الإسلامية بشتى مراحلها منذ بداية عمليات الفتح بالمغرب أو من خلال نشاط التجار الدعوي أو مرحلة الدفع الجديد لعمليات الفتح التي قادتها دعاة دولة المرابطين وفي طليعتهم: أبو بكر بن عمر (ت. 480هـ/1087م) وعبد الله بن ياسين- في مدّ جسور التواصل بين المنطقة الشمالية ببلاد المغرب والمجالات الجنوبية الغائرة في عمق الصحراء وبلاد السودان الغربي، وتوطيد مقومات شبكة العلاقات الاقتصادية والثقافية والدينية بين المجالين. وفي هذا الصدد، أشارت صاحبة الدراسة الموسومة "بتجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي" إلى أنّ الفتوحات الإسلامية عزّزت من روابط الصلة بين الشمال المغربي وأقصى جنوب الصحراء، بما يكمن التعبير عنه -على حدّ قول الباحثة -

"بالانفتاح الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي الذي حدث بين المغرب الاسلامي والسودان الغربي"⁽¹⁾.
لقد شكّل الاسلام المادة الهامة التي عضدت قوة الرابط بين المجالين، ووسّعت من آفاق التواصل، وساهمت في تنامي وتعدّد روافده ومناحيه، وأعانت على تفعيل مقومات شبكة العلاقة والحراك الثقافي والاقتصادي بين المغرب والسودان الغربي.
كما ساهمت الفتوحات الاسلامية بصفة ملحوظة في توسيع شبكة طرق المواصلات التي كانت معهودة في البلاد المغربية قبل الوجود الاسلامي بالمنطقة، وبشكل كبير تلك التي كانت غائبة في الاتجاه الجنوبي عابرة الصحراء الكبرى⁽²⁾.

ب- القبائل البربرية في المنطقة الصحراوية:

لعبت الجماعات السكانية المتمثلة بشكل رئيس في بطون قبائل بربر الصحراء وفروعها هي الأخرى دورا لا يستهان به في مد جسور الوصال بين المجالين، وتوطيد نسيج العلاقة بين إفريقيا الشمالية والسودان، وبالأخصّ فرعي: زناتة وصنهاجة⁽³⁾. حيث مكّن الحراك القبلي الذي عرفته المنطقة، والاسهام الفاعل في بعث الحياة بكل مظاهرها ضمن المجال الممتد بين المنطقتين من طرف تلك البطون والفروع القبلية في وارجلان ووادي ريغ وتوات ونحوها، من كشف صور متلونة عن مظاهر التواصل والتأثير المتبادل في الجانب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الملحوظ بين الساكنتين.

وإذا كان جانب من الدور الذي أدّاه عناصر قبائل الحضر قد تجلّى على كاهل الاسهام في تهيئة الطرف السياسي والاقتصادي والأمني لمسار الحركة التجارية وعناصر القافلة والقائمين عليها، فإنّ لقبائل البدو الرحل الطاعنة في الصحراء هي الأخرى أدوارا لا يستهان بها في بعث الحياة في جسم العلاقة بين المجالين، والمحافظة على متانة رابط التواصل وجسر العلاقة؛ وذلك من خلال ما تبسطه بين يدي القوافل التجارية من خدمات متعدّدة، على غرار: تأجير جمالها أو بيعها لعناصر القافلة، أو مرافقة القافلة والاسهام في حمايتها وتأمينها، أو الإعانة بالسهر على توفير مجالات الرعي لأغنامها وتغذية جمالها أو إبلها، فضلا عن التزويد بالمياه والمؤن

ونحو ذلك من لوازم السفر، والقيام بدور الكاشف والدليل والمرشد سواء في المحطات التجارية أو في مسار تجاوزه مفاوز الصحراء. بالإضافة إلى القيام في البعض من الأحيان بدور الوكيل عن صاحب التجارة لنقل البضاعة والمتاجرة بها نحو الشمال (المغرب) على سبيل المثال من سجلماسة⁽⁴⁾ باتجاه طرابلس، القيروان، تلمسان، تاهرت، وفاس، أو نحو السودان الغربي بالجنوب كمين سجلماسة إلى أودغشت⁽⁵⁾ على سبيل المثال لا الحصر، وكذا القيام بدور الوسيط أو صاحب البريد الذي ينقل الرسالة من أصحاب التجارة وأربابها إلى أصحابهم أو وكلائهم في المراكز التجارية الأخرى وموانئها سواء بالشمال أو الجنوب بقصد تأجير الدور لهم مسبقا حتى إذا بلغوا مآربهم وجدوها جاهزة ومهيأة، أو الخروج إليهم بالماء والسقاية، ونحو ذلك من مهام التحضير والعناية بالضروريات الخاصة بالسفر ذهابا وإيابا، وأمور تنظيم القافلة ومستلزماتها⁽⁶⁾.

ولا يخفى علينا الدور الذي لعبه التاجر المغربي في توطيد أواصر العلاقة والتواصل الاقتصادي والديني؛ فالتاجر المغربي المسلم كان يجمع بين وظيفته التجارية ومسؤوليته الدعوية باللسان أو سلوكاته التعاملية المستوحاة من روح الشريعة الإسلامية والمتناغمة مع مبادئها بما يجعلها مادة مستقطبة لانتباه الآخر ممن هم على غير الديانة الإسلامية، فيكون التاجر المسلم القدوة في سلوكه سواء في أدائه لصلاته في وقتها وانتظام وقته وحرصه على نظافة جسمه ونحوها من مظاهر التدين ولوازمه، أو بطريقة تعامله مع الغير من صدق، ووفاء، وبُعدٍ عن الغش والتدليس، والبيع بالربا ونحوها من مظاهر البيع المرفوضة شرعا، كما يكون سببا في هداية الناس إلى عبادة ربّ الناس⁽⁷⁾. ناهيك عن الدور اللامع الذي اضطلعت به الحكومات والقيادات السياسية في سبيل بسط الأمن والطمأنينة على امتداد خطوط ومراكز التجارة ومسالك قوافلها، من خلال تهيئة الطرقات والمسالك، وإقامة عليها من يحرسها، وتنشيط مراكز الراحة كالماء والفندق والوكالات داخل المراكز وخارجها وفي نقاط متفرقة من مساراتها⁽⁸⁾.

ج- وسائل الاتصال:

شكّلت سفينة الصحراء (الجمال) وسيلة جدّ هامة وفاعلة في تسهيل عملية التواصل بين المغرب وبلاد السودان نظرا لما تتمتاز به هذه الوسيلة الحيوانية من إمكانات مذهلة على غرار قدرتها التحملية، وصمودها الرهيب، وتحديثها العجيب لقساوة الطبيعة وعند استخدامها في السفر والنقل والتجارة العابرة للصحراء بتضاريسها الصعبة، ومناخها الشديد القساوة⁽⁹⁾.

ففرق الجمالة أو تجار الذهب بواسطة هذه الوسيلة ساهموا بشكل فاعل في التمهيد لبناء شبكة طرق تجارية واسعة، ونسيج من المسالك التواصلية التجارية المتعددة بين الشمال والجنوب، خلال الفترة الزمنية التي سبقت حركة الفتوح الاسلامية التي قادها العرب الفاتحون خلال القرن الثامن الميلادي، كما شدّت من عضد المقومات التي لعبت دورها الفاعل في توسيعها وتنامي حركيتها في المرحلة التي أعقبتها⁽¹⁰⁾.

د- مقومات الاستقطاب الطبيعية:

على الرغم من سيادة مناخ صعب في الصحراء إلا أنّ ذلك لم يمنع من الوجود الحضاري والازدهار الاقتصادي بالمنطقة، ومن توسع نشاط محطات التجارة والأسواق الكبرى المنتشرة عبر مساحاتها الواسعة والمثبتة في مواضع استراتيجية حساسة خصوصا ضمن خطوط ومسالك التجارة وقوافلها⁽¹¹⁾. وكانت الآبار أحد أهمّ المنشآت العمرانية ضمن المقومات الطبيعية التي ساهمت في تسهيل نشاط الحراك التجاري لا سيما ذهب السودان الغربي مرورا بالصحراء الكبرى نحو حواضر الشمال ومراكزها التجارية؛ على اعتبار الآبار معلما من معالم الطريق التي تستعين على مادتها عناصر القافلة لخوض رحلتها التجارية وتذليل صعابها والاسترشاد بمراكزها⁽¹²⁾، ناهيك عن استقطاب مواضعها لاتخاذها فضاء لبناء المدن والقصور⁽¹³⁾ والاستقرار البشري والتجمع السكاني بنواحيها أو قريبا منها، ناهيك عن اتخاذ تلك المدن والقصور مراكز لتخزين معدن الذهب وادخاره بها⁽¹⁴⁾.

2- تنافس دول المغرب الإسلامي على ذهب السودان وانعكاساته على عملية البناء والتشييد:

شكل ذهب السودان الغربي -الذي كان يتصدّر واردات المغرب في الفترة الوسيطة- أحد المواد الحيوية التي أججت نار التنافس والصراع بين القوى السياسية في الإقليم المغربي في العصر الوسيط وألهبتها من أجل بسط النفوذ على مراكزه، والاستئثار بإدارة تجارته وتوجيهها بما يخدم رغباتها ويلبي حاجاتها؛ لما لهذه التجارة من عوائد جمة وأرباح طائلة تذرّها تجارتها على خزائنها وأوعيتها المالية. ولئن كان الوقوف على جانب من مظاهر هذا الصراع ومساحة من أوجهه ليس بيت القصيد وديدننا على كاهل هذه الدراسة، فإنّ بلوغ مرامينا المتمثلة في انعكاساته على حركية البناء والتشييد العمراني، وأوجه اهتمام القيادة المغربية به وصرف الجهد له في خضمّ ذلك الصراع وفي مسعى تغذية فصوله، يُرغما على تتبّع نماذج من أوجه الحراك العسكري والنزعة التنافسية وصنوف الصراع بين القوى المغربية، وتحديد انعكاسات ذلك على سياستها العمرانية، ونصيب أنشطة البناء والتعمير من جرائها، ومستويات توجّه القيادة المغربية نحو نهج استراتيجية عمرانية تستجيب لطموحاتها في الاستئثار بتجارة ذهب السودان الغربي، والاشراف المباشر على مراكزه. فأيّ المدن ظهرت في خضم ذلك التنافس حول الاستئثار بالسلطة المالية والاستيلاء على عرش تجارة ذهب السودان الغربي وحيازة مساحة واسعة من سلطان السيطرة على مسالك تجارتها ومراكزها؟ وأيّها تمّ تشييدها وإقامة أركانها ضمن مساراتها ومسالكها تغذية لطموحاتها الاستثنائية وتلبية لمشاريعها التنافسية؟

للإجابة على السؤالين المطروحين آنفا، يحسن بنا التعرّض بالدراسة لمجموعة نماذج من مظاهر العمارة المدنية والعسكرية التي شيّدها القيادة المغربية على تعاقب السلط السياسية التي افترشت المجال المغربي، وبالأخصّ على امتداد المسافة الزمنية المحصورة بين القرن الثالث والسادس الهجريين (9-12م)، ومن ذلك:

أ- مدينة العباسية:

لم يُخفِ بنو الأغلب اهتمامهم الملحوظ بالذهب السوداني والسعي من أجل الإشراف على مراكزه ومسالكه، لبعث الحياة بشكل أكثر فاعلية في جسم الاقتصاد الأغلب والأنشطة التجارية. وتجلّى ذلك الاهتمام بشكل مركز في توجيه الاهتمام بشكل لافت ببناء الأسواق وتنظيمها، والعناية بمسالكها وتطوير مقوماتها، وتوفير الأمن والحماية الكفيلة بأداء القوافل التجارية القاصدة بلاد السودان أو القادمة منها نشاطها بشكل فاعل وآمن، وكان بناء مدينة العباسية أحد مظاهر التنافس الأغلب للاستفادة من عوائد تجارة الذهب، واستثمار منافعه المالية في تغذية الخزنة العامة وتطعيمها بمادة هذا المعدن الخالص والنفيس.

بالنظر إلى الموضع الذي اتخذهُ أبو العباس بن الأغلب لبناء العباسية سنة 239هـ/ 853م، يتبدّى بشكل لامع الطموح الأغلب لتقوية حواس المراقبة عن كثب لنشاط التجارة العابرة للصحراء، وبالأخصّ تجارة معدن الذهب، والتطلع الواضح لضمان مقعد ضمن منظومة الإشراف المباشر على قوافلها، والرغبة البينة للاستفادة من عوائدها، وتوجيه نشاطها بما يُلبّي حاجات اقتصاده، فقد فضّل أن تُبنى بالقرب من مدينة تيهرت لتكون عينا حية تترقّب الحركة التجارية القوافلية، وتسمح للتجار الأغلبية من الاسهام في هذا النشاط التجاري⁽¹⁵⁾.

كما أنّ تشييد مدينة أغلبية بمحاذاة الحاضرة التيهرتية يشي بحجم الرغبة الجامحة في ولوج بني الأغلب مضمار المنافسة الاقتصادية مع بني رستم أصحاب السيادة على الحاضرة تيهرت؛ التي كانت تمثل قبلة تقصدها القوافل التجارية القادمة من الجنوب محملة بذلك الكنز الثمين يقودها التجار السودانيون، وإقامة قاعدة تجارية في قلب مدينة العباسية تضاهي مدينة تيهرت وكفيلة بمنافستها في مجال التجارة ولما لا الاستئثار بدورها الرائد في المجال التجاري المغرب أوسطي لصالحها⁽¹⁶⁾.

ولا نحسب أنّ هذا التوغّل الأغلب في جسم الفضاء المغرب أوسطي في ناحيته الغربية الذي كان تحت جناح السيادة الرستمية يكفي تبريره بالتوسع العسكري والسياسي بمعزل عن الطموح التجاري والرؤية الاقتصادية، وقادتها على علم كافٍ بعوائد هذه التجارة المعدنية (الذهب) على الحياة الاقتصادية، ومنه أفضاله ومؤثراته الايجابية على الأصعدة السياسية والعسكرية وحتى الثقافية والدينية، بقدر ما هو استراتيجية مدروسة من طرف القيادة الأغلبية لتأمين المسالك التجارية ومناطق العبور لقوافلها، وفرض الاستقرار بها، وتقوية معاول الاستقطاب والجذب والتوجيه نحو الأسواق الأغلبية، وفي طليعتها السوق القيروانية، حتى تترنّ بضائع الأخيرة بمعدن الذهب ويندرج ضمن المواد القادمة إليها والبضائع المعروضة بأسواقها.

ولا يخفى علينا في ذات الوقت، الازدهار الحضاري والاقتصادي الذي شهدته حاضرة القيروان وهي تستظل تحت السيادة الأغلبية، وما شهدته أسواقها ومراكزها التجارية من انتعاش وحركة خلال تلك الفترة، وبالأخصّ حين مثلت أحد الطرق والمراكز الهامة المستقطبة للتجارة القوافلية من الشرق والغرب⁽¹⁷⁾. وعلى ضوء الدراسة الموسومة "بتجارة الذهب بين المغرب الاسلامي والسودان الغربي"، تؤكد صاحبة الدراسة: أنّ الدينار الذهبي الأغلب ضرب من ذهب السودان لا محالة، حيث تم ضربه في القيروان ورقادة والعباسية. وأنّ هذا المعدن حقّق الثراء لحكام المغرب الاسلامي الذين كانت لهم قوافل تسير وتجهز لحسابهم، فأبو الغرانيق محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب تمكّن من بناء قصر عند خروجه لصيد الغرانيق بثلاثين ألف مثقال من الذهب⁽¹⁸⁾.

وكان من أشهر المسالك التجارية وطرقها التي تنقل ذهب السودان إلى البلاد الأغلبية، الطريق المار من غانة⁽¹⁹⁾، وأودغشت باتجاه تاغازة نحو الشمال الشرقي، ثم من توات وقورارة إلى الشمال الغربي لهضبة تادميت التي تؤدي إلى ورقلة والجريد بتونس، أو غانة تادمكة إلى غاية طرابلس مروراً بغدامس⁽²⁰⁾.

مع الإشارة إلى أنّ القيادة الرستمية لم تستسغ اتخاذ الأغلبية قاعدة بالقرب من عاصمة الدولة تيهرت، ولا لتقصر في بذل الجهد للقيام بردّ فعل؛ وتجسّد الأمر في إقدام أفلح بن عبد الوهاب الرستمي على هدم العباسية في ذات السنة التي تمّ تشييدها خلالها وذلك في 239هـ⁽²¹⁾.

وما كان هذا الإجراء التهديمي الذي اتخذه أفلح بن عبد الوهاب في حق العباسية ليرمي بحبل العلاقة الأغلبية الرستمية في قارب الصراع العسكري، وإثما ظلت العلاقة بين السلطتين تحافظ على استقرارها إلى حدّ ما في إطار سعي القيادتين لاصطناع جو مناسب للاستفادة من التجارة العابرة للصحراء. والحال ذاته اتّسمت به شبكة العلاقة الرستمية مع القيادة المدرارية صاحبة السلطة في الحاضرة السجلماسية؛ هذه الأخيرة التي تعدّ إحدى أهمّ المراكز والمعابر التجارية ومسالك الذهب القادم من الجنوب نحو الشمال، حيث عملت القيادة الرستمية على تمتين علاقتها مع بني مدرار. ولعلّ من بين أوجه ذلك: رباط المصاهرة الذي تُسجّت أوصاله بتزويج ابنة عبد الرحمن بن رستم لمدرار ابن اليسع بن إلياس، وكانت الحاضرة تجلبها القوافل القادمة من السودان الغربي. وكان من الطبيعي أن ينعكس الازدهار التجاري الذي باتت عليه الحاضرة التيهرتية والدور الكبير الذي لعبه التجار الإباضيون في انعاش أنشطته على مناحي الحياة الأخرى؛ حيث ساهم في توسيع دائرة حدودها في أعماق الجنوب، بعدما أضحت تيهرت خلال القرن 10م تشرف على العديد من المسالك المؤدية إلى القصور في جنوب المغرب، وسيطروا على العديد من المحطات التجارية الصحراوية كجبل نفوسة ورقلة وسجلماسة. كما دعمت القيادة الرستمية في عهد أفلح بن عبد الوهاب سياستها الرامية إلى مدّ جسور التواصل في العمق الجنوبي بتوطيد العلاقة مع ملك كوكو في السودان الشمال الغربي⁽²²⁾.

ب- المدينة السجلماسية والمظاهر التنافسية على مسالك الذهب والمراكز التجارية:

بناءً على ما جاء بين طي الدراسة التي قامت بها الباحثة "بن موسى جميلة" حول تجارة الذهب بين المغرب الاسلامي والسودان الغربي، كشفت الباحثة على ضوء المادة المصدرية، أن بناء مدينة سجلماسية سنة 140هـ / 757م، كان عاملاً أساسياً لحماية التجار وتجارة الذهب الواردة من السودان الغربي، حيث كان اهتمام الولاة المسلمين خلال عصر الولاة بالمغرب الاسلامي -ومنهم عبد الرحمن بن الحبيب- بحفر الآبار على طول المسلك القديم الرابط بين تادمكة وأودغشت عام 128هـ / 745م، يمثل أحد أوجه الاهتمام العربي بذهب السودان الغربي، وهو ما ساهم في تذليل مهام استكمال عملية الفتح الاسلامي نحو الجنوب، وإرساء تنظيم سياسي وإداري واقتصادي بالمنطقة الجنوبية، وتسهيل مهمة التجار المسلمين في السيطرة على تجارة الذهب السوداني داخل الأسواق الإفريقية.

كما أن قرب موضع المدينة السجلماسية من بلاد السودان الغربي ووقوعها على الطريق الغربي لتجار الذهب وقوافله، جعلها فضاء مستقطبا للعناصر البشرية للاستقرار؛ حيث قصدتها جماعات يهودية حين علمت أن التبر بها أمكن منه بغيرها في بلاد المغرب لكونها باباً لمعدنه⁽²³⁾.

لقد شكّل الفضاء الجغرافي السجلماسي أهم المحطات الشمالية للتجارة القوافلية بالذهب ذهاباً وإياباً من السودان الغربي ومعبراً من معابرها الكبيرة، وباباً من الأبواب الهامة للنشاط التجاري الذي قوامه الذهب، وعاصمة من العواصم الاقتصادية التي عرفت رواجاً لتجارته استيراداً وتصديراً. وتفادياً للوقوع في فخ التكرار، نقف على ما ذكرنا بشأن هذه المدينة؛ ذلك أننا سنتعرض له بشكل أكثر تفصيلاً في المحطة البحثية الموالية.

ج- العبيديون الفاطميون والمجالات التيهرتية السجلماسية: قراءة في أهداف ومطامح السيطرة:

إنّ سيطرة الفاطميين على تيهرت والقضاء على الكيان الرستمي سنة 297هـ، لا يمكن تبريره فحسب برغبة الفواطم في استكمال أعمال السيطرة على البلاد المغربية بعدما دانت لسلطانهم حواضر المغرب الأدنى على إثر سقوط الدولة الأغلبية، وإنما ينضاف إلى قائمة الأهداف الفاطمية من الاستيلاء عليها: سعيهم لضمّ المجال التيهرتي للسلطة الفاطمية نظرا ما يكتسيه من أهمية بالغة على الصعيد التجاري، وقد سبق وأن كشفنا جانبا من الأهمية التي تتمتع بها هذه الحاضرة، والأدوار التي تضطلع بها في الحقل التجاري والفائدة المالية التي تجنيها السلطة صاحبة الشأن في مجالها. كما ترغب القيادة الفاطمية في وضع قدم ثابتة ضمن المجال الحيوي من أجل الإشراف المباشر على مراكز الحركة التجارية أو تجارة الذهب، واقتحام المسار التنافسي للاستئثار بمهمة المشرف العام على الإقليم وحياسة مسؤولية صاحب القول الفصل فيه. ومما يُقوّي من مصداقية هذا الطرح، نشاطهم العسكري للسيطرة على الإقليم السجلماسي الذي تُضرب فيه السكة بالمعدن الثمين أيام مرحلة تأسيس الدولة. ولا ريب أنّ الأحمال التي خرج بها عبيد الله المهدي من سجلماسة بعد تعيين والي الفاطمي-الشييعي عليها إبراهيم بن غالب المزاتي، مما يبرز لنا أهمية العوائد المالية على الفواطم من ذهب السودان الغربي، واعتماد الفاطميين لهذا المعدن كقاعدة اقتصادية لا يمكن التغافل عنها، حتى بات الذهب هو المعدن الذي تُضرب منه العملة الفاطمية في المهديّة وسجلماسة بداية من سنة 311هـ/ 923م، وحتى في عهد خلفائهم من بني زيري على أرض المغرب في القيروان والمهديّة والمنصورية⁽²⁴⁾.

لقد تمكّن الفاطميون من تنظيم تجارة الذهب والسيطرة على العديد من مراكزها وجيوبها ومسالكها، حيث جعلوا من طريق سجلماسة-غانة بالجهة الغربية، ممرا رئيسا لذهب السودان الغربي القادم نحو الشمال، وأحد أهمّ الشرايين الحيوية والفاعلة لضخ خزائنتهم بهذا المعدن وتزويد أسواقهم بمادته، ورافدا مهما لجمع الثروة وإعداد الجيوش لتجسيد مشاريعهم السياسية والعسكرية والمذهبية على أرض الواقع إلى جانب غيره من الطرق الهامة

الأخرى، كالطريق الرابط بين سجلماسة وتمبكتو مروراً بتبالة وتغازة وتاوديني، أو الرابط بين سجلماسة بأودغشت مروراً بتغازة، أو طريق تاهرت سجلماسة، وأغمات⁽²⁵⁾ سجلماسة. أمّا من بين أهمّ المسالك في الجهة الوسطى فالطريق الرابط بين جاو وورقلة مروراً بتادمكة وأدرار إيفوغاسن، وتكمن أهميته بشكل أكبر في محطة ورقلة التجارية؛ التي تعتبر ملتقى الطرق ومحورها والمفصل الذي تتقاطع عنده⁽²⁶⁾.

وفي عهد المعز لدين الله الفاطمي آخر حكام الدولة الفاطمية بالبلاد المغربية، تشي لنا رغبة هذا الأخير في تعلّم اللغة السودانية بطموح القيادة الفاطمية لتقوية نفوذها بالجنوب وترسيم علاقاتها مع البلاد السودانية وملوكها، وأنّ ذهب السودان الغربي كان يسيل لعبائها، ومساعيها الجادة للاستفادة بشكل فاعل من مادة الذهب، خصوصاً مع تنامي حجم دائرة المطالب المالية في سبيل تغذية مشاريعها التوسيعية ومطامحها لنقل مركز الخلافة إلى البلاد المشرقية، وهو ما يقتضي منها الرفع من مستويات الضخ المالي والذي يعتبر ذهب السودان الغربي أحد مصادر الضخ الرئيسة والفاعلة⁽²⁷⁾.

د- مدينة أودغشت وتجارة الذهب:

من الملاحظ الي سجّلتها المادة المصدرية الجغرافية والرحلاتية أنّ من أبرز العوامل التي دفعت وتيرة الازدهار الأودغشتي إلى الأمام، وساهمت في انتعاش الحياة بأودغشت بشتى مناحيها خلال فترات معينة من العصر الإسلامي الوسيط، كونها إحدى المحطات التجارية البارزة في تجارة الذهب وتبر السودان الغربي وملحّه؛ فهي تقع على الطريق الغربي الواصل بين سجلماسة في الشمال وغانة في الجنوب، الذي يتوفر على مقومات معتبرة تعين على نماء النشاط التجاري المتمركز ضمن مجالها وديمومة حركيته به، من قبيل: وفرة الماء⁽²⁸⁾، ومرافق الراحة على اختلاف تظاهراتها، ولا تبعد عن غانة إلا بمسافة زهاء عشرة أيام⁽²⁹⁾. بما يعكس حرص القائمين على أودغشت للحفاظ على الدور الريادي الذي تضطلع به المدينة في الحقل الاقتصادي، ووعيهم بالانعكاسات الإيجابية لحجم الثراء المالي الذي تجلبه المتاجرة بهذا المعدن على مناحي الحياة بالإقليم ومنها الحياة الحضارية.

ومن ثمّ لم يقتصر الأمر بأودغشت على عملية المتاجرة بالذهب السوداني تصديرا واستيرادا أو بيعا وشراء، وإلّا كانت أودغشت أحد مراكز تحويل الذهب وتصنيعه، حيث يُصقّى بها من الشوائب ثمّ يتمّ تصنيعه على شكل فتائل؛ بما معناه أنّ الذهب القادم إلى أودغشت كان يصدر على أنواع مختلفة بعد تحويله وتصنيعه وليس المتاجرة به تبرا فقط⁽³⁰⁾.

ومن ثمّ، يتجلى لنا بشكل لامع مستوى الازدهار الاقتصادي التي شهدته أودغشت، والمكانة التجارية التي تبوّأتها بفضل هذا اللون من التجارة. بل وحتى المكانة السياسية والقوة العسكرية التي امتلكتها السلطة الحاكمة لهذا الإقليم المزدهر اقتصاديا، لا سيما خلال الفترة الممتدة بين سنتي 350-360هـ / 961-971م، حين حكمها رجل من صنهاجة، الذي قيل أنّ دولته كانت تملك جيوشا قوية وكثيرة، بما مكّنه من أن يدين لسلطانه ما يربو عن 20 ملكا من ملوك السودان ممن كانوا يؤدون له الجزية⁽³¹⁾.

هـ - مراكز المرابطين وتجارة ذهب السودان الغربي:

لقد غزا المرابطون قبيلة جدالة كونها أقرب مواطن صنهاجة إلى الرباط المرابطي أو المهد الأول لعبد الله بن ياسين، ولأنّ مركزها "أوليل"⁽³²⁾ يتوفر بكثرة على الملح الذي تنقله القوافل شمالا وجنوبا كما تتوقّف على الأموال، وكذا لقربها من بلاد السودان وانفتاحها على مراكز الذهب ومسالكه نحو الشمال؛ فهي قريبة من غانة وسنغانة وأودغشت⁽³³⁾، وطريق سجماسة. كما سيطروا على مسوفة أكبر قبائل الصحراء التي تسيطر على الطرق الحيوية للتجارة السودانية، وعلى لمتونة. وبذلك تنامت قوة المرابطين الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وباتوا يسيطرون على المجالين الأوروبي والمجال الإفريقي خصوصا حين ضموا لسلطانهم سجماسة وأغمات ثمّ أودغشت وأغمات بعد سنة 446هـ / 1055م، فتمكّنوا من امتلاك زمام الأمر بالمنطقة والسيطرة على حركة النقل التجاري للقوافل العابرة للصحراء على حساب السودانين وزناتة خصوصا بعد فتح غانة سنة 1076م وإعلان ملوكها الولاء للمرابطين⁽³⁴⁾. وكان من ثمار التفوق الاقتصادي الذي باتت عليه السلطة المرابطية والتوسع المجالي شمالا وجنوبا، أن سكّت العملة من معدن ذهب السودان الغربي، حيث تمّ إنشاء مركز لسك النقود

في أودغشت لقربها من السودان، وضربت الدنانير الذهبية ذات العيار الممتاز في سجماسة سنة 450هـ/ 1058م، وأغامت سنة 486هـ/ 1093م، ومراكز تادلة بالقرب من فاس سنة 493هـ/ 1099م، ولمطة وتلمسان سنة 494هـ/ 1100م، أما مراکش فبدأ ضرب العملة بها في عام 485هـ/ 1092⁽³⁵⁾.

و- القصور الصحراوية وتجارة الذهب:

تعدّ القصور أحد المعالم الحضارية والمظاهر العمرانية التي عرفتها البلاد المغربية في قسمها الجنوبي خلال العصور الوسطى؛ فهي عبارة عن تكتلات سكانية متراسة فيما بينها، تُبنى فوق قمم الجبال أو على سفوحها أو على هضاب صخرية ونحوها، تُؤوي بين جنباتها مجموعات سكانية، مُحاطة بأسوار تُبنى عليها أبراج لحمايتها وتأمينها⁽³⁶⁾. إنّ هذا النمط العمراني والمظهر من مظاهر البناء والتشييد الحضاري، له من المميزات المعمارية والمكونات الحضارية ما يجعله يتسم بنوع من الخصوصية من حيث: طبيعة البناء وشكله، والغرض من تشييده، ليس بالدرجة التي تجعله منفصلاً بشكل تام عن مظاهر العمارة المعروفة كالمدين والقلاع، وإنّما تباينا تفرضه بشكل أكبر الحاجة إلى البناء في موضع دون غيره، ومادة البناء، بما يتناغم وطبيعة الموضع وتضاريسه، والغاية من التشييد.

ودون الخوض في تفاصيل طبيعة المظهر الحضاري الذي تجسّده القصور وتقصص عن ماهيته، نُشير بأنّ غايتنا البحثية على كاهل هذه الدراسة، تقوم على أساس التطرق إلى دور النشاط التجاري الذي قوامه ذهب السودان الغربي في نمو وتوسع هذا الصنف من البناء واللون العمراني، وعناية السُلط والقيادات المغربية السياسية بإقامة القصور وتشييدها في المجالات الحيوية، والكفيلة بامتلاك زمام ذلك النوع من التجارة، والاستفادة من أرباحها. وحتى لا نزيغ ونظل في مسار تتبّع أنواع القصور التي تمّ تشييدها في صحراء المغرب الوسيط ومواطنها، نكتفي بالإشارة إلى نماذج منها، ونقتصر على قصور الصحراء المغرب أوسطية؛ أي قصور وادي ريغ وورقلة وتوات وقورارة⁽³⁷⁾.

بعيدا عن الخوض في تفاصيل الأسباب التي دفعت بالقائمين على بنائها، بتنشيت مجموعة من القصور في جسم الصحراء المغربية، يندرج سبب المحافظة على استمرارية التجارة بالذهب السوداني، وتأمين طرقها ومسالكها، وتجنيب قوافلها صنوف الخطر المحتمل أن يعترض طريقها في خضم رحلتها ذهابا وإيابا بين الشمال والجنوب، ضمن مجموعة الأسباب التي رغبّت في تشييدها وإقامة عروشها.

إن نمط البناء والتموضع الذي تصطبغ به مظاهر عمارة القصور من خلال تقارب المسافات بين قصر وآخر، يظهر لنا وكأنّ تشييدها كان لغاية القيام بدور المحطات والمراكز التي تبسط بين يدي رجال القوافل التجارية سبل التزوّد بما يحتاجونه من مؤن وزاد، وإشعارهم بالراحة والاطمئنان من خلال الحماية التي تكفلها لهم والحراسة التي تحيط بمهامهم⁽³⁸⁾.

من القصور التي لعبت دورا بارزا في نمو تجارة ذهب السودان الغربي وانتعاش نشاطها، القصور المشيدة في منطقة توات الواقعة على بعد ثلاثة عشر يوما جنوب سجماسة في المنطقة المعروفة بتمنطيط، حيث كانت بمثابة محطات تجارية مثبتة في مسار القوافل وخطوطها نحو السودان الغربي. أو قصور منطقة القلعة الواقعة على بعد 350 كلم جنوب غرب ورقلة، و390 كلم شمال عين صالح، والتي تشكل واحات الصحراء الجزائرية، والتي كانت قوافل التجارة تستعيد أنفاسها ضمن مجالها وتستريح به وهي في الطريق إلى ميزاب وتوات. كما شكّلت قصور مدينتي ورقلة وسدراتة إحدى أكبر المحطات التجارية التي عرفها المغرب الأوسط في عصره الوسيط، وأبرز نقاط التواصل التجاري بين الشمال والجنوب؛ حيث كانت القوافل تخرج من ورقلة وسدراتة مرورا بالقلعة ثم توات فتادمكة وأخيرا إلى جاو. وهو ما أهل مدينة ورقلة لتحظى بمكانة أهم مدينة تجارية في العصور الوسطى بالمنطقة⁽³⁹⁾.

الخاتمة:

- قادنا هذا العمل البحثي للوقوف على جملة من النتائج تلك التي يضطلع ببيان ملخصها العرض الموالي:
- ساهمت التجارة العابرة للصحراء وفي طليعتها تجارة ذهب السودان الغربي في إحداث ثورة عمرانية بالبلاد المغربية خلال الفترة الوسيطة خصوصا بالمراكز الكبرى، ونقاط التقاطع لمسالكها التجارية الواقعة في الجنوب المغربي، وفي إحداث حركية هائلة في توسع مظاهر العمارة بتلك المجالات وانتعاش الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحتى الثقافية والدينية بها.
 - شكل ذهب السودان الغربي المادة الرئيسية التي تصدرت المواد التجارية الواردة من الجنوب، والمستقطبة لتجار البضائع الجنوبية والمشرفين على القوافل التجارية والمشرفين على تجارتها.
 - كانت تجارة الذهب أحد أهم محاور الصراع بين السلط المغربية، وأسباب التنافس بين قياداتها من أجل الاستئثار بإدارة دواليب هذه التجارة والإشراف المباشر على حركيتها. كما ساهم من جهة أخرى في التوسيع من دائرة التنافس، والذي يمكن الاصطلاح عليه بالتنافس الايجابي؛ المتمثل في سهر القيادة المغربية، وحرصها على توفير المقومات التي تبعث على الراحة والأمن في مسالك التجارة وشبكة طرقها، من خلال بناء مراكز الحراسة وتزويدها بالجنود، أو أماكن الراحة كحفر الآبار وبناء الفنادق وتوسيع الأسواق ونحو ذلك.
 - مسّت مظاهر الانتعاش التي شهدتها المدينة المغربية بشكل أكبر المدن والقصور التي كانت بمثابة همزة وصل بين المحطات التجارية على غرار وارجلان (ورقلة) وتيهرت. واللافت للانتباه في ذات السياق، أنّ العديد من المدن التي غابت شمس حضارتها وأقل نجمها كان من أسباب ذلك الرئيسية: هو انحراف مسار الطرق التجارية عن مجالها، حين فقدت الأمن والاستقرار، الذي يعدّ أحد أهم مقومات الاستقطاب.

الهوامش:

- (1)- حيث حددت الباحثة بن موسى جميلة على ضوء ما توصلت إليه من دراسات متخصصة ونصوص مصدرية إلى تعيين الحدود الموائية كإطار يفصح عن المجال الصحراوي، فالحد الشمالي كان: صحراء سبرت، جبل نفوسة، شط الجريد، شط ملغغ، الأطلس الصحراوي، ودرعة، مجتازين كل المراكز التجارية شمال الصحراء من قبيل: فزان، غدامس، وادي ريغ، ورقلة، وسجلماسة. أما من الجنوب: فتصل إلى منعطف نهر النيجر مروراً بالتشاد، إلى غاية النيل في درجة 16 شمالاً. في حين من الشرق: من الحدود الطبيعية للصحراء، بما في ذلك صحراء ليبيا والنيل. وإلى المحيط الأطلسي من الناحية الغربية. للتفصيل أكثر، انظر: البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، مصر، ص13، جميلة بن موسى: تجارة الذهب بين المغرب الاسلامي والسودان الغربي من 9م إلى 11م، ط1، منشورات بلوتو، جسر قسنطينة، الجزائر، 2011، ص33-34.
- (2)- انظر: شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات: الجزائر- المغرب الأقصى- موريطانيا- السودان، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص27، عبد القادر زبادية: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص42، بن موسى: المرجع السابق، ص201.
- (3)- انظر: رضا رافع: العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى والعالم الخارجي في العهد الموحد، مجلة دراسات تراثية، العدد الثالث، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، الجزائر، 2009، ص157، بن موسى: المرجع السابق، ص35.
- (4)- سجلماسة: إحدى أكبر مدن الصحراء المغربية، وهي مدينة تقع على الطريق الغربي المؤدي إلى غانة تفصل بينهما مسافة شهرين، وتبعد عن البحر بخمسة عشر مرحلة. من مدنها: درعة، أشر، أيل، امصلى، دار الأمير، حصن برارة، الخيامات، وتازوروت. للتفصيل أكثر بشأنها، انظر: البكري: المصدر السابق، ص162-166.
- (5)- أودغشت: بموريطانيا الحالية، وهي واحة على بعد 51 مرحلة من سجلماسة جنوباً، و12 مرحلة شمال غرب غانة، انظر: البكري: المصدر السابق، ص152..
- (6)- للمزيد من التفصيل، انظر: بن موسى: المرجع السابق، ص61-65، ماجدة كريمة: ذهب السودان الغربي من ق 5هـ/11م إلى 14م، تاريخ استغلاله، كيفية الحصول عليه وآثاره على القطاع النقدي بالمغرب وأروبا الغربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، العدد5، جامعة محمد الأول، المغرب، 1995، ص187.

- (7) - انظر ما أوردته في هذا السياق: الباحثة: بن موسى: المرجع السابق، ص51.
- (8) - انظر: مورييس لومبار: الاسلام في مجده الأول من القرن 2 إلى القرن 5هـ (8-11م)، ترجمة، اسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ص89-93، بن موسى: المرجع السابق، ص51.
- (9) - وبناءً على الدراسة التي خصتها الباحثة بن موسى جميلة بالجمل وإمكاناته العجيبة المفصحة عن عظمة الخالق وآياته العجيبة في مخلوقاته، كشف عن جوانب مهمة عن تلك الإمكانات التي يمتاز بها الجمل، من قبيل: الصفاء، الهدوء والطاعة وسهولة الانقياد لصاحبه. بالإضافة إلى شكل قدميه الذي لا يسمح بغوصها في الرمال، وقدرته الهائلة على الحمولة؛ فهو يمكنه أن يحمل 200 كلف ويقطع بها مسيرة 30 كلم كمعدل يومي، أما دون حمولة فيمكنه أن يسير بسرعة 16 كلم في الساعة الواحدة ولمدو 18 ساعة في اليوم، بحيث يستمر في العمل دون أن يبدو عليه الألم. للتفصيل أكثر، انظر: بن موسى: المرجع السابق، ص36، 41-48.
- (10) - انظر: بن موسى: المرجع السابق، ص201.
- (11) - انظر ما أوردته في هذا السياق: البكري: المصدر السابق، ص152-180.
- (12) - ومن الأبار التي ذكرها البكري بالمنطقة الصحراوية: بئر "الجمالين" الواقعة على الطريق الرابط بين درعة وسجلماصة، وآبار منطقة سدراتة وورقلة، بئر "أمان تيسن"؛ أي ماء الملح، وأمان يسيدان؛ أي ماء النعام، انظر: البكري: المصدر السابق، ص160-168، بن موسى: المرجع السابق، ص37-39.
- (13) - انظر ما أوردته المادة المصدرية بشأن أهمية مادة المياه ضمن شروط اختطاط المدن واختيار مواضعها، كل من: شمس الدين المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه، محمد الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ-2004م، ص182، عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، دار ابن الهيثم، القاهرة، 1426هـ-2005م، ص281.
- (14) - بن موسى: المرجع السابق، ص40.
- (15) - أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة: المسالك و الممالك، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل، 1967، ص 88، بو القاسم النصيبي ابن حوقل: المسالك و الممالك، طبع بمدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل، 1872، ص60، يحيى بن أبي بكر أبي زكرياء: كتاب سير الأئمة و أخبارهم، تح، إسماعيل العربي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1402هـ /1982م، ص53، يوسف عبد الكريم جودت: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص26، شوقي ضيف: المرجع السابق، ص29، بن موسى: المرجع السابق، ص128-129.
- (16) - انظر كذلك ما أوردته في ذات السياق الباحثة: بن موسى: المرجع السابق، ص128-129.

- (17) - ابن حوقل: المصدر السابق، ص96، مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ودار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1986، ص129، محمد ابن أبي بكر أبو عبد الله الزهري: كتاب الجغرافية، تح محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، ص109، الحبيب الجناحي: القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص59، بن موسى: المرجع السابق، ص128-129.
- (18) - بن موسى: المرجع السابق، ص151-152.
- (19) - انظر بشأن هذه المدينة: البكري: المصدر السابق، ص152.
- (20) - الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، لبنان، 1948، ص127، بن موسى: المرجع السابق، ص145-148، ص128، بن موسى: المرجع السابق، ص206-208، مسعود خالدي: العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في العصر الوسيط، مقال ضمن كتاب بحوث ودراسات تاريخية مهداة للأستاذ الدكتور عبد الكريم بوالصفصاف، مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2018، ص41، رافع: المرجع السابق، ص169.
- (21) - ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص88، ابن حوقل: المصدر السابق، ص60، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص53، بن موسى: المرجع السابق، ص128-129، خالدي: المرجع السابق، ص41-42.
- (22) - ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص88، ابن حوقل: المصدر السابق، ص60، بن موسى: المرجع السابق، ص129-133، خالدي: المرجع السابق، ص41-43.
- (23) - الحميري: المصدر السابق، ص127، بن موسى: المرجع السابق، ص145-148، رافع: المرجع السابق، ص167.
- (24) - مبخوت بودواية: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة تلمسان، الجزائر، 2005-2006، ص268، بن موسى: المرجع السابق، ص220-222، خالدي: المرجع السابق، ص43-44، رافع: المرجع السابق، ص167.
- (25) - بشأن هذه المدينة، انظر: البكري: المصدر السابق، ص153، الحميري: المصدر السابق، ص46.
- (26) - الحميري: المصدر السابق، ص38، 165، بن موسى: المرجع السابق، ص152-153، 204-205، خالدي: المرجع السابق، ص43-44، رافع: المرجع السابق، ص167.
- (27) - انظر ما قالته كتب الجغرافيا والرحلة، وكذلك: بن موسى: المرجع السابق، ص133-137، خالدي: المرجع السابق، ص48-49، رافع: المرجع السابق، ص167.

- (28) - مثل: بئر الجمالين، وبئر هيلون أو يطونان في الجزء الرابط بين تادمليت وأودغشت.
- (29) - انظر: البكري: المصدر السابق، ص151-155، الحميري: المصدر السابق، ص46، 126، 128، بن موسى: المرجع السابق، ص223-224، رافع: المرجع السابق، ص167-168.
- (30) - البكري: المصدر السابق، ص152، 171، 180، الحميري: المصدر السابق، ص46، 126-130، بن موسى: المرجع السابق، ص225، رافع: المرجع السابق، ص167.
- (31) - البكري: المصدر السابق، ص152، 171، 180، الحميري: المصدر السابق، ص128، بن موسى: المرجع السابق، ص225.
- (32) - انظر بشأنها: البكري: المصدر السابق، ص171، الادريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، طبع بمدينة ليدل المحروسة، 1863، ص32.
- (33) - مدينة تقع بين صحراء لمتونة والسودان، تبعد عن غانة بنحو خمسين مرحلة.
- (34) - بلحسين سعاد: الحضور المربطي في السودان الغربي بعد فتح غانة بين المصادر المكتوبة والرواية الشفوية، مقال ضمن أعمال الندوة العلمية: العلاقات المغربية الإفريقية: حصيلة وآفاق، الدار البيضاء، المغرب، ص64، خالدي: المرجع السابق، ص50.
- (35) - بن موسى: المرجع السابق، ص86، خالدي: المرجع السابق، ص50، رافع: المرجع السابق، ص166.
- (36) - انظر بشأن القصور: البكري: المصدر السابق، ص82، 152، 160-168، 171، 180، الحميري: المصدر السابق، ص38، 63، 135، بن موسى: المرجع السابق، ص228-229.
- (37) - بشأن هذه القصور، انظر: البكري: المصدر السابق، ص162-168، الحميري: المصدر السابق، ص38، 135.
- (38) - انظر ما أورده في هذا السياق الباحثة: بن موسى: المرجع السابق، ص228-229، رافع: المرجع السابق، ص169.
- (39) - الحميري: المصدر السابق، ص128، بن موسى: المرجع السابق، ص229-231، رافع: المرجع السابق، ص169.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- 1- الادريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، طبع بمدينة ليدل، 1863.
- 2- البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، مصر.
- 3- الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، لبنان، 1948.
- 4- المقدسي شمس الدين: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه، محمد الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ- 2004م.
- 5- الزهري محمد ابن أبي بكر: كتاب الجغرافية، تح محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر.
- 6- ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، دار ابن الهيثم، القاهرة، 1426هـ - 2005م، ص281.
- 7- ابن خردادبة أبو القاسم عبيد الله: المسالك والممالك، طبع في مدينة ليدن بمطبع بريل، 1967.
- 8- ابن حوقل النصيبي: المسالك والممالك، طبع بمدينة ليدن مطبع بريل، 1872.
- 9- أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر: كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح، إسماعيل العربي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1402هـ / 1982م
- 10- مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ودار النشر المغربية، المغرب، 1986.

ثانياً: المراجع:

- 11- الجنحاني الحبيب: القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.
- 12- السعدي عبد الرحمن بن عبد الله: تاريخ السودان، مكتبة الشرق، باريس، 1981.

- 13- بلحسين سعاد: الحضور المربطي في السودان الغربي بعد فتح غانة بين المصادر المكتوبة والرواية الشفوية، مقال ضمن أعمال الندوة العلمية: العلاقات المغربية الإفريقية: حصيلة وآفاق، الدار البيضاء، المغرب.
- 14- بن موسى جميلة: تجارة الذهب بين المغرب الاسلامي والسودان الغربي من 9م إلى 11م، ط1، منشورات بلوتو، جسر قسنطينة، الجزائر، 2011.
- 15- شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات: الجزائر- المغرب الأقصى- موريطانيا- السودان، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- 16- مبخوت بودواية: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة تلمسان، الجزائر، 2005-2006.
- 17- مسعود خالدي: العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في العصر الوسيط، مقال ضمن كتاب بحوث ودراسات تاريخية مهداة للأستاذ الدكتور عبد الكريم بوالصفصاف، مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2018.
- 18- مورييس لومبار: الاسلام في مجده الأول من القرن 2 إلى القرن 5 هـ (8-11م)، ترجمة، اسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب.
- 19- ماجدة كريمي: ذهب السودان الغربي من ق 5هـ/11م إلى 14م، تاريخ استغلاله، كيفية الحصول عليه وآثاره على القطاع النقدي بالمغرب وأروبا الغربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، العدد5، جامعة محمد الأول، المغرب، 1995.
- 20- رضا رافع: العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى والعالم الخارجي في العهد الموحد، مجلة دراسات تراثية، العدد الثالث، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، الجزائر، 2009.
- 21- يوسف عبد الكريم جودت: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 22- زبادية عبد القادر: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.